

النقد الثقافي إشكالية المصطلح و المفهوم

بونوة خيرة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

bounouakheira48@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2019-12-01	2019-04-15	2019-02-16

ملخص :

يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية الجديدة كونه يهدف إلى الكشف عن الأنساق الفكرية المضمرّة والكامنة فيما وراء السطور وهذا بعيدا عن نوع النص وعلى اختلافه كونه ظاهرة جمالية تهتم بالأدب والفن والجمال باعتبارها أنساقا ثقافية (سياسية اجتماعية إنسانية ثقافية..الخ. وفي دراستنا للنقد الثقافي نجد أن الكثير من الباحثين يخلطون بينه وبين الدراسات الثقافية ونقد الثقافة، فعلى الرغم من وجود سمات مشتركة بينهم إلا أن هناك اختلاف حيث يهدف كل واحد إلى هدف معين، فنجد النقد الثقافي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية والجمالية واكتشاف أنساقها المضمرّة في حين نجد أن الدراسات الثقافية تهتم بالانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من المجالات المعرفية المختلفة .

وعليه: ما هو النقد الثقافي ؟ ما هي أهم سماته؟ ما الفرق بينه وبين الدراسات الثقافية ونقد

الثقافة؟

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الدراسات الثقافية، نقد الثقافة.

1) مصطلح النقد الثقافي:

إن الحديث عن النقد الثقافي ليس بالأمر الهين لأنه ليس هناك مفهوم واضح و محدد للنقد الثقافي، فهناك من يقدمه على انه مجرد نشاط في حين نجد فريق آخر يقدمه على انه اتجاه نقدي عابر للتخصص و منهم من يراه مجالا معرفيا، فهو يتكون من لفظين النقد وهو لفظ واضح أما الثقافي نسبة إلى الثقافة، فهو يتميز عن غيره من أنواع النقد الأخرى ،وقبل الولوج إلى تعريف النقد الثقافي لابد من المرور على مفهوم الثقافة .

1-1) مفهوم الثقافة:

لقد تعددت مفاهيم الثقافة وتنوعت حسب مختلف الباحثين وذلك كل حسب نظرتة فنجدها عند محمد عبد المطلب أنها: "هي الإضافة البشرية للطبيعة التي تحيط بها سواء كانت إضافة خارجية في إعادة تشكيل الطبيعة أو تعديل ما فيها إلى تعديل آخر، هذه الإضافات التي لا تكاد تتوقف بل تضم قائمة العادات و التقاليد و المهارات و الإبداعات الداخلية بمعنى أنها تتعلق بما هو غريزي و فطري و بيولوجي في الكائن البشري"¹

ويقول عليها مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة على أنها: "مجموعة من الصفات و القيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته و تصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط"².

وعليه تعتبر الثقافة مفهوم واسع وشامل في حدوده و دلالاته حيث يتضمن العادات و التقاليد والمعتقدات الخاصة بمجتمع معين فهي الصورة و الواجهة لكل عينة، وقد نجدها تختلف و تتنوع حتى داخل المجتمع الواحد.

2-1) مفهوم النقد الثقافي:

يتعلق النقد الثقافي و يتداخل بالعديد من المناهج والاتجاهات التي تشترك معه في الرؤيا و الممارسة ، وبهذا فان مفهوم النقد الثقافي يختلف من مفكر و ناقد لآخر حيث يرى الناقد السعودي عبد الله الغدامي باعتباره رائد النقد الثقافي في الثقافة العربية وأول من تلقاه في الخطاب النقدي العربي أن النقد الثقافي هو: "فرع من فروع النقد النصوي العام من ثم فهو احد علوم اللغة و حقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه ما هو غير رسمي و مؤسستي و ما هو كذلك سواء بسواء و هو لذلك معني بكشف لا الجمالي كما هو شان النقد الأدبي وإنما هو كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي"³

من خلال هذا المفهوم الذي يقدمه الغدامي للنقد الثقافي نجد انه يعتبره فرع من فروع النقد النصوي العام أي أن النقد الثقافي حاله كحال المناهج النصية أو النصانية كما يسميها البعض الآخر (البنوية-السيمائية-الأسلوبية...الخ) غير أن النقد الثقافي يعنى بالأنساق المضمرة المتسربة إلى كافة الخطابات (رسمي-غير رسمي)(مؤسساتي-غير مؤسساتي) كما نلمس من مفهومه للنقد الثقافي انه يختلف عن النقد الأدبي في انه ينقل مجال اشتغاله بالبحث عن جمالية النص إلى البحث في قبحياته. ويقول عنه حفناوي بعلي انه : " نشاط وليس مجالا معرفيا قائما في ذاته، وهو لا يدور حول الفن و الادب فحسب و إنما حول دور الثقافة في نظام الاشياء بين الجوانب الجمالية و الانثروبولوجية"⁴

من خلال هذا المفهوم الذي يقدمه حفناوي بعلي للنقد الثقافي نجد أن النقد الثقافي لا يركز على الأدب أو الفن فقط بل يتعداهما إلى كل ما هو مضمّر.

(2) الدراسات الثقافية:

اهتمت الدراسات الثقافية "بجملة من العناوين والقضايا البارزة من مثل ثقافة العلوم و تشمل التكنولوجيا و المجتمع ، الرواية التكنولوجية و الخيال العلمي و ثقافة الصورة و التاريخانية الجديدة...الخ

لقد تبنت الدراسات الثقافية دور مساءلة العلوم المنتمية إلى الحقل الاجتماعي و علوم الإنسان و استجوبت ممارسات النقد الأدبي التقليدية و ممارسات النظرية الجمالية ، ولعبت فيها دورا حاسما و هذا ما يجعلها إفرازا لنظرية البنيوية و ما بعدها و تجسيدا لما يمكن أن تفضي إليه ما بعد البنيوية من دور في الحياة العامة."⁵

نجد أن الدراسات الثقافية لا تقف عند حدود خطاب ثقافي أو نصوي معين بل توسع مجالات الاشتغال إلى عدة خطابات كالرواية التكنولوجية و أنظمة التواصل الاجتماعي و الخطابات الرسمية و خاصة غير الرسمية ذات الاستقبال الجماهيري الكبير

و نجدها أيضا قد: "كسرت مركزية النص و لم تعد تنظر إليه بما انه نص و لا إلى الأثر الاجتماعي الذي يظن انه من إنتاج النص ، لقد صارت تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه و ما يكتشف عنه من أنظمة ثقافية، فالنص هنا وسيلة وأداة و حسب مفهوم الدراسات الثقافية ليس النص سوى مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية و انساق التمثيل و كل ما يمكن تجريده من النص، لكن النص ليس هو

الغاية القصوى للدراسات الثقافية وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان ،كما في تموضعها النصوي⁶

من هنا نجد أن الدراسات الثقافية لا تركز على طبيعة وجمالية الخطاب أو النص، بل إن الهدف الأساسي الذي تسعى إليه الدراسات الثقافية هو كشف الأنساق المتسربة إلى هذه الخطابات وتعريفها.

(3) النظرية الثقافية والدراسات الثقافية:

نجد أن هناك من يخلط بين النظرية الثقافية و الدراسات الثقافية ولا يفرق بينهما "النظرية الثقافية ليست هي الدراسات الثقافية، فمن الأمور التي يتعين مراعاتها هنا عدم الخلط بين النظرية الثقافية و الدراسات الثقافية ، فالأولى فرع علمي بلغ مستوى رفيع من التميز والاكتمال بينما الآخر ميدان جديد سريع النمو من ميادين البحث الأكاديمي يدرس في بعض الأحيان كتخصص مستقل .

يهتم ميدان الدراسات الثقافية أساسا بدراسة طبيعة الثقافة الجماهيرية ومنتجات الصناعة الثقافية { الثقافة الجماهيرية الاتصال الجماهيري دراسة الاتصال...الخ }⁷

تختلف الدراسات الثقافية اختلافا بينا وواضحا عن النظرية الثقافية، فإذا كانت النظرية الثقافية تبحث في الثقافة من حيث ظهورها و إنتاجها و تطورها، فإن الدراسات الثقافية ظهرت خاصة مع رواد مدرسة فرانكفورت حيث تهدف بالأساس إلى كشف و تعرية الأنظمة و الأنساق المتسربة إلى خطابات مختلفة.

(4) الدراسات الثقافية والنقد الثقافي:

"حدث في نهاية السبعينيات أن اكتشف الجميع احتشاد الساحة النقدية بما يعرف {مابعد الحداثة} باتجاهات نقدية جديدة وأخرى أعيد إحيائها مثل المادية الثقافية والماركسية الجديدة و التاريخانية الجديدة والنقد الثقافي وأصبح من الصعب تحديد الخطوط الفاصلة بين تلك الاتجاهات جميعا فمن المعروف مثلا أن التاريخانية الجديدة هي النسخة الأمريكية من المادية الثقافية بريطانية ثم إن هذه الاتجاهات بكل اتفاقها واختلافها فيما بينها يمكن اعتبارها جزئيات المظلة الأوسع للنقد الثقافي"⁸

من خلال مفهوم الدراسات الثقافية و النقد الثقافي نجد أن كل منهما يتفق مع الآخر ويختلف معه في قضايا أخرى كأنظمة الخطاب وآليات الاشتغال القرائي.

"يشمل النقد الثقافي نظرية الأدب و الجمال و النقد و أيضا التفكير الفلسفي في حين نجد أن مصطلح الدراسات الثقافية يتناول وسائل الإعلام و الثقافة الشعبية و المسائل المرتبطة بالجنوسة و موضوعات أخرى متنوعة"⁹

و بهذا فان النقد الثقافي و الدراسات الثقافية تستند إلى اتجاهات و مناهج نقدية و اجتماعية وتاريخية مختلفة كما أنها تهدف بالأساس إلى كشف و استخراج الأنساق الثقافية في الخطابات المهيمنة والمهمشة على حد سواء خاصة الخطابات ذات الاستقبال الجماهيري الكبير كالأحجية و الأغاني الشعبية و... الخ و غيرها من الخطابات التي يتوسل إليها الخطاب المؤسساتي من اجل بث أنساقه والبقاء على هيمنته .

كما يمكن القول أن كل من الدراسات الثقافية و النقد الثقافي مصطلحان متداخلان يعملان على تحديد الدراسات التي تقوم على تفكيك البنى الثقافية و الاستعانة بأنساقها من كل الجوانب .

مما سبق نجد أن النقد الثقافي لا يقف عند حدود منهج أو اتجاه بعينه بل يتخذ من التعدد المناهجي سبيلا في مقارنة الخطابات المختلفة، كما أن النقد الثقافي استفاد كثيرا من المناهج النقدية وبخاصة التفكيكية في بلورة و صياغة مفاهيمه و آلياته الإجرائية كما انه لا يمكننا إغفال الدور الكبير الذي قدمه رواد مدرسة فرانكفورت على امتداد الأجيال الثلاثة المشكلة لها

و بهذا يمكننا أن نقدم مفهوم النقد الثقافي على انه إجراء قرائي يعنى بكشف الأنساق الثقافية و الادبولوجية المتسربة إلى خطابات مختلفة مهما كان نوعها و جنسها.

الهوامش

- 1- محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط2003، 1، ص:90.
- 2-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر:عبد الصبر شاهين، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، ص:74.
- 3-محمد عبد الله الغدامي، النقد الثقافي في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي بيروت ط3، 2005، ص:20.
- 4-حفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط2007، 1، ص:11.
- 5- حفاوي بعلي، مدخل نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط1، 1428-2007، ص:20.
- 6- حفاوي بعلي، م، ن، ص:21
- 7- اندروادجار وبيتر سيدجويك، مر:محمد الجوهري، تر:هناء الجوهري، موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم و المصطلحات الاساسية، الطبعة 2014، 2، ص:10.

8- ارثرايزا برجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم و رمضان بسطاوي سي، المجلس الاعلى للثقافة، 2004 ط 1، ص: 31.

9- احسان ناصر حسين .. اشراف: اسماعيل خلياص حمادي، مجستار، .مجلة كلية التربية / واسط العدد 13، ص: 11